د. مريامة لعناني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية **قسنطينة**

ورقة علمية مقدّمة للمشاركة في فعاليات الملتقى الوطني الموسوم بـ:

"جهود علماء الغرب الإسلاميّ في معالجة الآفات الاجتماعية"

بمخبر البحث في الدراسات الأدبية والانسانية كلّية الآداب والحضارة الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة.

يومي الاثنين والثلاثاء

25- 26 شوال 1444 هـ

الموافق لـ 15- 16 ماي 2023م

عنوان المداخلة:

"آراء ومواقف أخلاقية لعلماء عصر الطوائف بالأندلس"

الملخص:

يعد موضوع الانحلال الأخلاقي الاجتماعي من الموضوعات المهمة التي كانت ولا تزال محور اهتمام علماء الإسلام ومفكريهم منذ العصر الوسيط، ففي الغرب الإسلامي، وبالتحديد في الأندلس كان للعلماء جهود كبيرة جسدتها آراؤهم ومواقفهم المدونة في مختلف النصوص، وخصوصا في عصر الطوائف الذي جاء كنتيجة لفساد أخلاقي سياسي تطور إلى فساد أخلاقي اجتماعي، حيث حرك ضمائر العلماء أمثال ابن حزم (ت456هـ/ 1064م)، وأبي الوليد الباجي(ت474هـ/1081م)، وابن حيان(ت469هـ/ 1076م)، وغيرهم للعمل على تشخيص الظواهر، وتقديم الحلول.

ومن هذا المنطلق ارتأيت أن أعرض في ورقتي البحثية أهم جهود هؤلاء العلماء، فقيدتها بالعنوان الآتي:" **آراء ومواقف أخلاقية لعلماء عصر الطوائف بالأندلس**"، حيث تتمحور إشكاليته حول أهم مظاهر الفساد الأخلاقي في عصر الطوائف، وأهم الآراء والمواقف التي صدرت من علماء العصر.

Abstract

Social moral degradation is an important topic that has been and continues to be the focus of the attention of islamic scientists and intellectuals since the meddle Age.In the Islamic West, especially, Andalusia scientists made great efforts that were evident in their opinions and positions written in various text, especially, in the Age of Muluk Attawa'if, wich came as a result of political moral corruption,

evolved into social moral corruption stirred the consciencesof scientists, such as Ibn Hazm, Abou Alwalid El Baji and Ibn Hayyan, and others to work to diagnose phenomena and provide solutions.

It was in this spirit that I thought that in my paper I would give conserations to the most important works of these scientists under the title : « Ethical opinions and attitudes of scientists of Attawa'if era in Andalusia », its problem is centred on moral corruption and the most important opinions and attitudes of the scientists in that era.

مقدمة

إن الانحلال الأخلاقي هو ذلك الخلل الذي يصيب سلوك الأفراد في المجتمع الواحد، فيؤدي إلى انحرافهم عن طبائعهم وعاداتهم الفاضلة النابعة من معتقدهم أو قانون مجتمعهم، فيصبحوا سلبيي التصرفات في مختلف المجالات، ويزداد هذا الوضع سوءا حتى لا يدع طبقة أو فئة اجتماعية، فيصعب بعد ذلك إعادتهم إلى أصلهم الإيجابي بعد أن تفشى فيهم التعدي على القيم وتجاوز الحدود الأخلاقية للمجتمع، باستخدام الأساليب والسبل المؤدية إلى ذلك، وقد شغلت مظاهره أذهان المفكرين والعلماء والمصلحين منذ القدم، فتصدوا لها بمختلف الطرق والأساليب محاولين بذلك الحد منها أو على الأقل التحذير من تبعاتها. وهذا ما نجده في كل مجتمع اجتاحته المدنية المادية، وعبثت بقيمه، وأفسدت أخلاقه، حيث يستدعى دعاة الإصلاح والعلماء لتشخيص علله، ومحاولة إصلاح أخلاقه.

وهذا الموضوع كان أيضا أحد الموضوعات التي شغلت علماء المسلمين ومصلحيهم منذ العصر الوسيط، وذلك لتفشي مختلف مظاهر الفساد الأخلاقي في المجتمع، ولذلك فإنني أحاول من خلال هذه الورقة البحثية أن أعرض الموضوع في مجتمع من المجتمعات الإسلامية في العصر الوسيط، وهو المجتمع الأندلسي، وفي إحدى فتراته الأكثر فسادا، وهي فترة الطوائف، فجاء الموضوع موسوما بـ: " آراء ومواقف أخلاقية لعلماء عصر الطوائف بالأندلس"، وأحاول من خلاله الإجابة عن الإشكالية المحورية الآتية: ماهي أهم مظاهر الانحلال في المجتمع الأندلسي، وماهي أهم آراء العلماء ومواقفهم منها؟ وذلك في النقاط الآتية:

أولا: أهم مظاهر الانحلال الأخلاقي في المجتمع الأندلسي في نظر علماء عصر الطوائف

ثانيا: أهم آراء علماء عصر الطوائف ومقترحاتهم في مكافحة مظاهر الانحلال الأخلاقي

ثم خاتمة الموضوع التي تتضمن أهم نتائج العمل.

أولا: مظاهر الانحلال الأخلاقي في المجتمع الأندلسي في نظر علماء عصر الطوائف

تقدم المدونات الأندلسية بمختلف أنواعها نصوصا كثيرة، تتضمن مختلف صور الانحلال الأخلاقي في مختلف مجالات الحياة، فتفيدنا في معرفتها ومحاولة تقسيمها إلى موضوعات عدة، أهمها:

1_التناحر والتنافس على السلطة كشكل من أشكال الفساد السياسي

يعني الفساد السياسي: الخلل الذي يطرأ على الصلة الطبيعية التي تحكم علاقات الحاكم بالمحكوم بسبب تصرفات الأول المؤثرة سلبا على العمران البشري [1]، ويتمثل ذلك فيما بدا من فساد الأمراء والحكام، واعوجاج سلوكهم، واختلال نواياهم، وتسلطهم على الحكم [2].

وهذا المظهر تجلى في بلاد الأندلس في أواخر عصر الخلافة الأموية وبداية عصر الطوائف، فيما يصفه صاحب كتاب "التّبيان"، وذلك في قوله:« لما انقضت الفترة العامرية(366-399هـ/ 976-1009م)، وبقي الناس لا إمام لهم، ثار كل قائد بمدينته، وتحصّن في حصنه بعد تقدِمة النظر لنفسه واتخاذ العساكر وادِّخاره الأموال، فتنافسوا على الدنيا، وطمع كل واحد في الآخر»[3]، أو كما يصفه ابن حزم عند حديثه عن الأمراء وحال البلاد في عهده، في قوله: « إن المتحكم في مصائر البلاد والعباد بشبه الجزيرة حفنة من سلاطين الجور، المتغلبين بغير وجه حق، ضربوا الجزية والمكوس على المسلمين، وملّكوا أمرهم اليهود والنصارى، وأطلقوا يدهم في كل شيء، وفي المقابل توارى أهل الفضل، وخلا الجو للظلَمة وأعوانهم»[4]

فحكّام هذه الفترة استبدوا بالسلطة، ونالوا من مقام الخليفة، بالحَجر على السلاطين، فكان الحاجب يمثل الصورة الفعلية للسلطان، حتى إنك لا تكاد تعرف عن الخليفة إلا الاسم، وقد مثّل ذلك الحاجب المنصور بن أبي عامر(ت392هـ/1002م)، ومن ورثه من أهل بيته في ذات المنصب، فاستأثروا، واستبدوا بالحكم، بالوصاية على الخليفة الأموي، بعد أن تخلّصوا من مجلس الوصاية الواحد تلو الآخر بالقتل، وانفردوا بالحكم، وأعلنوا أنفسهم حجّابا، واتخذوا لقب الخلفاء[5]، وتوجهوا إلى كل من لهم مكانة عند عموم الناس، وهم الفقهاء، فأخذوا يقلِّصون من نفوذهم، ويحُدُّون من سلطانهم، بتعريضهم للتشريد والسجن والقتل[6].

إن هذا الاستبداد في أمور الدولة باستبعاد الخليفة، أدى إلى التّناحر بين وزرائها وقوادها، فبمجرد تراجع سلطة هؤلاء العامريين، دخلت البلاد الأندلسية في صراع قِوى عملت بصورة مباشرة على تمزيق الوحدة، وإحداث

---

(1) عبد الله بن مسفر الوقداني: "نظرية الفساد الأخلاقي عند ابن خلدون"، دورية الإدارة العامة، معهد الإدارة، الرياض، مج50، ع4، شوال 1430، سبتمبر2010، ص 547.

(2) عبد السلام الهراس: "مأساة الأندلس"، مجلة المناهل، إصدار وزارة الشؤون الثقافية، المملكة المغربية، ع 29، س11، جمادى الثانية1404/ مارس1984، ص 448.

(3) ابن بلكين الزيري: التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، تح علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2006، ص32.

(4) ابن حزم: رسالة التلخيص في وجوه التخليص، ضمن رسائل ابن حزم، تح إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 2007، ص173، 174.

(5) ابن الأبار: الحلة السيراء، تح حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1985، ج1، ص270.

(6) كمال عبد المجيد: الفكر الأندلسي بين الطموح والانتكاسة، دار ركراف، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ص16.

الفتنة، كما يراها مؤرخ الفترة ابن حيان (ت 469هـ/ 1076م)[1]، بوصفهم بـ «أمراء الفرقة الهمل، الذين هم منهم ما بين فشل ووكر»[2].

والحال الأسوء للأمراء تناحرهم فيما بينهم والاستعانة بأعدائهم على بعضهم البعض، وهذا ما يذكره ابن عبد البر(ت 463هـ/1071م)[3] في قوله: « صار كل من غلب عليها على موضع ملَكه، واستعبد أهله، وكثر فيها الأمراء، فضعفوا وصاروا خِوَلًا للنصارى»[4]، أي أن فرقتهم وكثرتهم جعلتهم في حال ضعف لحد أنهم أصبحوا خدام النصارى، أو كما يقول عنهم ابن حزم: « والله لو علموا أن عبادة الصُّلبان تُمشي أمورهم، لبادروا إليها، فنحن نراهم يستمدون النصارى، فيمَكِّنونهم من حَرَم المسلمين وأبنائهم ورجالهم، يحملونهم أُسارى إلى بلادهم، وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعا، فأَخْلَوها من الإسلام، وعمرُّوها بالنواقيس»[5].

2_العلاقة السِّلبية بين الحكام والرَّعية:

رغم أن الرَّعية جزء من المجتمع، وعنصرٌ فاعل فيه، وهي كما يقول ابن حيان: « الرعية من السلطان بمكان الأشباح من الأرواح، صلاحهما وفسادهما متصلان، ونماؤهما ونقصانهما متصلان، إذ كانت الرعية عنصر المال، ومادة الجباية، بها قِوام الملك، وعزُّ السلطان، ورزق الأجناد، التي بها يقاتل العدو، وينصر الدين، وتحمى الحرم»[6]، إلا أن المادة المصدرية التي تعود إلى الفترة، تبين لنا أن العلاقة التي تربط الحكام بالرعية، هي علاقة تسلُّط وقسوة وتجبُّر[7]، وهي كما عبَّر عنها الشاعر الأعمى التطيلي(ت 525هـ/1131م) في قوله(بحر المتقارب):

فشا الظلم واغترَّ أشياعه ولا مستغاث ولا مشتكي[8]

ولعل أبلغ تعبير عن تلك السلوكيات، ما ورد عند ابن حزم في قوله: «وذلك أني لا أعلم لا أنا ولا غيري بالأندلس درهما حلالا ولا دينارا طيبا يقطع على أنه حلال ... فما هو إلا أن يقع الدرهم في أيديهم، فما يستقرون حتى يؤدّوه بالعنف ظلما وعدوانا بقطيع مضروب على الجماجم، كجزية اليهود والنصارى، فيحصل ذلك

---

(1) وداد القاضي: "الفكر السياسي لأبي مروان ابن حيان"، مجلة المناهل، إصدار وزارة الشؤون الثقافية، المملكة المغربية، ع 29، س11، جمادى الثانية1404/ مارس1984، ص 262.

(2) ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1998، مج3، ص 117.

(3) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبر البر النمري الأندلسي المالكي، ولد سنة368هـ، ولي قضاء أشبونة مدة، طلب الحديث، كان عالما بالقراءات والفقه والتاريخ، صنف التمهيد والاستذكار، والاستيعاب، وغيرها، توفي سنة 463هـ. انظر: الحميدي أبو عبد الله: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966، ص367.

(4) ابن عبد البر القرطبي: القصد والأمم في التعريف بأصول وأنساب العرب والعجم، طبعة السعادة، 1350هـ، ص35.

(5) ابن حزم: التلخيص لوجوه التخليص، المصدر السابق، ص174.

(6) ابن بسام: المصدر السابق، مج1، ص 74.

(7) ابن عبدون: في آداب الحسبة، تح ليفي بروفنسال، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، 1931، ص3.

(8) الأعمى التطيلي: ديوان الأعمى التطيلي، تح إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ص01.

المال المأخوذ منهم بغير حق عند المتغلب عليهم، وقد صار نارا، فيعطيه لمن اختَصَّه لنفسه من الجند، الذين استظهرهم على تقوية أمره، وتمشيته لدولته، والقمع لمن خالفه، والإغارة على رعِيَّته» [1].

فابن حزم يعتبر المال المأخوذ بالغصب مالا حراما، والتعامل به حرام، حيث انعدم التعامل المالي الحلال، فمادام يؤخذ بغير حق، ويوزع على من ليس لهم الحق، وإنما حقُّهم فيه كَونُهم يقومون بجمِعه لحاكمهم، ويحمونه من غيره، ويعينونه على رعيته بقوتهم. فهذا المال يعد حلقة حرام لا حلال فيها.

ولهذا القول ما يوافقه، حيث يذكر المحتسب ابن عبدون فئة الخرَّاصين[2]، التي أُطلِق لها العنان في أكل أموال الناس بالباطل، منتقدا إياها انتقادا لاذعا في قوله:« هؤلاء القوم يجب أن يُسمُّوا بالحقيقة ظَلَمة فسَّاقا، أكلة سُحت، أشرار سَفَلة لا خوف ولا حياء ولا دين ولا صلاة لهم إلا طلب الدنيا، وأكل السحت والربا، باعوا أديانهم بدنيا غيرهم، حرصًا منهم على الظلم وأكل السحت، وهم يرتشون، أشرار ظالمون فجَّار...» [3].

3-الفقهاء بين خدمة السلطان ومصالحهم الشخصية:

انطلاقا من رأي ابن حيان، الذي جمع فيه الفقهاء بالأمراء في تحمل مسؤولية السلطة، حيث أنهم أساس الملك واستمراريته، فبصلاحهم يصلح النظام، وبفسادهم يختل ذلك النظام وينهار، ويصف ذلك بالنظر إلى حوادث عصره، فيقول:« ولم تزل آفة الناس منذ خُلقوا في صنفين منهم هم كالملح فيهم، الأمراء والفقهاء، قلَّما تتنافر أشكالهم، فبصلاحهم يصلحون وبفسادهم يردون، فقد خص الله تعالى هذا القرن، الذي نحن فيه، من اعوجاج صنفيهم لدينا هذين، بما لا كفاية له ولا مخلص منه، فالأمراء القاسطون قد نكبوا بهم عن نهج الطريق ذيادا عن الجماعة، وحوشا إلى الفرقة، والفقهاء أئمتهم صموت عنهم، صُدوف عما أكد الله عليهم في التبيين لهم، قد أصبحوا بين آكل من حوائجهم، خائض في أهوائهم، وبين مستشعر مخافتهم، آخذ بالتقية صدقهم، وأولئك هم الأقلون فيهم، فما تقول في أرض فسُد ملحها الذي هو المصلح لجميع أغذيتها»[4].

وهذا القول توافقه آراء ابن حزم، التي ترى أن « الفساد قد انتقل وفشا في أوساط البيئة العلمية، حيث ظهر فساد الفقهاء في علاقتهم ببعضهم البعض، وفي علاقتهم بالأمراء، وفي استغلالهم العامة من أجل مصالحهم الشخصية»[5]، كما اعتبرهم فساقا، فحذر منهم، في قوله: «لا يغرَّنكم الفساق، والمنتسبون إلى الفقه، اللابسون جلود الضأن على قلوب السِّباع، المزيِّنون لأهل الشر شرَّهم، الناصرون لهم على فسقهم، ومثال ذلك ما حدث مع

---

(1)ابن حزم: رسالة التلخيص لوجوه التلخيص، المصدر السابق، ص 174، 175.

(2) «يقوم الخراص على خرص الأموال الزكوية من الدوالي والنخل». القرافي أبو العباس أحمد ن ادريس الصنهاجي: الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق، تح خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988، ج3، ص17؛ وهو من الخرص الذي يعني «الحزر والتخمين أي التقدير الظني بواسطة رجل عدل يبين خرص الثمار التمر والعنب دون غيرهما... ليضبط ما تجب الزكاة فيه منهما». وهبة الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، ج3، ص260.

(3) ابن عبدون: المصدر السابق، ص 05، 06.

(4) ابن بسام : المصدر السابق، مج3، ص 117.

(5) عبد البديع عبد العزيز عمر الخولي: الفكر التربوي في الأندلس، دار الفكر العربي، ط2، 1985، ص131.

« القاضي ابن بشير حيث سعى عليه الفقهاء حتى عزله المعتمد بن عباد، وكان محسودا لتبريزه عليهم، وانتقاده لأجوبتهم... فكسبهم ذلك عداوته، وأضمروا مطالبته حتى أمكنتهم الفرصة عزله»[1]

وفي طلبهم للمناصب والسعي إلى حصولها، يدون لنا ابن سهل(ت487هـ/ 1093م) [2] في أحكامه أحد النماذج عن ذلك، حيث ورد في سؤال للفقيه ابن عتاب(ت462هـ/ 1070م) [3] أن رجلا « ينتمي إلى الفقه، توسل إلى خدمة السلطان، راغبا في أن يقصُر عقد الوثائق وكتابتها عليه، فأجابه السلطان إلى ذلك، وعهد إلى من ببلده ألا يعقد وثيقة إلا هذا المتفقِّه»[4].

4-الفساد الحاصل من الترف:

تمدُّنا المصادر الأندلسية بإشارات كثيرة حول مختلف مظاهر الترف التي عاشها المجتمع الأندلسي، وبصفة خاصة، النخبة التي لاحظنا جمعها للأموال، والحصول عليها بمختلف الأساليب والطرق، كالسلب والنهب والسرقة.

ولا نستثني من هؤلاء الحكام والوزراء أو الفقهاء والكتاب أو المتصوفة، فقد استخدم هؤلاء تلك الأموال في بناء القصور والدور الواسعة واقتناء الأملاك والضياع[5]، وكسب الثمين من الفرش والأمتعة والملابس[6]، وامتلاك المراكب والخيل، واستكثار الجواري والغلمان[7]، فعلى سبيل المثال، المنصور بن أبي عامر، الذي سبق وأن ذكرنا استبداده واستيلاؤه على زمام الحكم، قد عُرف باهتمامه ببناء القصور الفخمة والمنتزهات، فمدينة الزاهرة خير مثال على ذلك الاهتمام البالغ للمنصور بمظاهر الأبهة، والتَّناهي في العمارة[8].

أضف إلى ذلك، المعتمد بن عباد الذي« ابتنى القصور، واعتبر العمارات المغِلَّة، واكتسب الملابس الفاخرة، وغالى في الأعلاق السنية، وارتبط الخيل السابحة، واقتنى الغلمان»[9]، وقد أشار ابن حزم إلى هذا الاهتمام بالترف

---

(1) ابن سهل أبو أصبغ عيسى بن عبد الله الأسدي الجياني(ت 486هـ/ 1093م): ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام، تح يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة، ط2، 2007، ص610.

(2) هو أبو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي، ولي قضاء غرناطة، صنف كتاب الإعلام بنوازل الأحكام، توفي سنة486هـ. انظر: ابن بشكوال: الصلة في تاريخ علماء الأندلس، تح صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، ج2، ص438.

(3) هو أبو عبد الله محمد بن عتاب بن محسن الأندلسي، مفتي قرطبة، ولد سنة383هـ، توفي سنة 462هـ. انظر: ابن بشكوال: المصدر السابق، ج2، ص544.

(4) ابن سهل: المصدر السابق، ص603.

(5) ابن بسام: المصدر السابق، قسم2، ص 145، الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، ص 540.

(6) ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام، تح ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2004، ص 84.

(7) المصدر نفسه، ص 84، 156.

(8) المصدر نفسه، ص 62، 76.

(9) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص 156.

في إحدى رسائله، في قوله:« تشاغل أهل الممالك بدنياهم عن إقامة دينهم، وبعمارة قصور يتركونها عما قريب عن عمارة شريعتهم، المداومة لهم في معادهم ودار قرارهم، وبجمع أموال ربما كانت سببا في انقراض أعمارهم، وعونا لأعدائهم عليهم...»[1]، كما أشار إليها الحميري، في قوله:« تكدست لديهم الثروات... القصور والدور الواسعة والمحاطة بالحدائق الغناء، وفي حضرتهم الجواري والغلمان»[2].

وكذلك كان بعض أهل العلم والدين، الذين أكلوا الشهي من الطعام، الغالي ثمنه، وشربوا اللذيذ من الشراب، ولبسوا الرفيع من الثياب، وربما شيَّدوا البناء وأحكموه، ورفعوا سقوف بيوتهم إلى حيث لا يحتاجونه، وذلك بما اكتسبوه من الحكام، حيث أغدقوا عليهم الأموال، وما تحصَّلوا عليه من الأغنياء وعامة الناس، الذين يعظمونهم، لارتباط عملهم بالدين[3].

5_ من منكرات الخاصة والعامة

_مجالس اللهو والشراب

إن النصوص التاريخية التي تورد صور الانحلال الأخلاقي في مجالس اللهو والشراب كثيرة كثرة المجالس، التي أسالت حبر مختلف المدوِّنين بالأندلس، مؤرخين وفقهاء وأدباء، وغيرهم.

فقد غلب على أهل الأندلس الترفيه، فعمدوا إلى الاستمتاع بالحياة وملَذَّاتها، واستغرقوا في اللهو، واستناموا إلى كل مظاهر الرَّفَه[4]،حيث ساد المجتمع نزوع مفرط نحو الاشتغال بالتكاثر في الأموال والضياع والجواري والفتيان، وارتباط مجالس اللهو والمنادمة، وبيوت القيان نهارا جهارا في الأحياء والضواحي وفي قصور الأمراء، وخرج ما كان مستورا في الأقبية إلى العلن [5].

فقد عرف الأمراء والوزراء بإقبالهم على شهوات النفس، والتأنق وتنمية الإحساس بالقيم الجمالية السمعية والبصرية، وذلك بالإقبال على الطرب ومجالس الأنس وسماع الموسيقى[6]، فقد قبلت العامة أيضا على فنون الطرب، والإكثار من ارتياد مجالس الشراب في نطاق هيأته الطبيعة الفاتنة [7]، وقد سجلت الكثير من حفلات

---

(1) ابن حزم: رسالة في الرد على ابن النغريلة اليهودي، ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي، تح إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 2007، ج1، ص41.

(2) المصدر السابق، 540.

(3) كمال عبد المجيد: المرجع السابق، ص75.

(4) السيد عبد العزيز سالم: "صور من المجتمع الأندلسي في عصر الخلافة الأموية وعصر دويلات الطوائف من خلال النقوش المحفورة في علب العاج"، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، وزارة التعليم العالي، جمهورية مصر العربية، مدريد 1976، 1978، مج19، ص 61.

(5) يوسف بنلمهدي: ملامح الفكر الأخلاقي بالغرب الإسلامي في القرن الخامس والسادس في القرن الخامس والسادس، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية، إشراف مهدية أمنوح، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، المملكة المغربية، السنة الجامعية 2010/ 2011، ص 187.

(6) محمد أحمد أبو الفضل: شرق الأندلس في العصر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1996، ص241.

(7)المرجع نفسه، ص 246.

المجون الخاصة بالأمراء والخلفاء والوزراء أيام حكم ممالك الطوائف[1].

وقبل ذلك ما كان أيام أواخر عهد بني أمية، كالخليفة هشام «مشغولا بالنزهات... ومجالسة النساء، ومحادثة الإماء»[2]، وكان حاجبه المنصور أكثر منادمة وشربا للخمر، وعقدا لمجالس اللهو،« فيقال عنه أنه كان يغشى مجالس اللهو والزينة والأعراس، ويقول: لينصحني ذلك الذي يعتقد أنه أمير المؤمنين...» [3]، كما يصف ابن بسام إحدى مجالسه قائلا:« فلما حمي الوطيس، وأنس الجليس بالرقص...» [4]، وابنه عبد الرحمن «الذي أخذ في التخليط والفسوق والانهماك في مجالس شرابه»[5]

أما أمراء الطوائف، فقد عني بوصف مجالسهم عناية كبيرة؛ لكثرة مجالسهم وتنوعها، حيث يقول ابن حيان: عن صاحب سرقسطة منذر بن يحيى « سموه من الإيثار لشهواته، والمسارعة والانهماك في طلب راحته والشغف بزي دنياه...»[6]، و«المظفر الذي لا خبر عنده إلا الإقبال على الشرب والدعة»[7].

وقد ألف في هذا الصدد ابن سعيد كتابه "المرقصات والمطربات"[8]، حيث إن المطلع عليه يستخلص أن هذا الكتاب مجموعة من الأشعار، التي تصف مجالس الأنس والطرب والشراب على ضفاف الأنهار، وأكثر موضوعاته في: الحب والمحبوب وعشق الجواري والغلمان .

أما الجواري اللواتي تم استغلالهن للغناء والرقص « فلا تكاد تجد فيها –الأندلس–من يستطيع على شيء من دنياه إلا وقد اتخذ عن نفسه مُغنِّية، وأكثر من ذلك، وإنما يتفاخر أهلها بكثرة الأغاني[9]، وقد عني الأندلسيون بتربية الجواري واقتنائهن، وتعليمهن فن الغناء والعزف على الآلات الموسيقية، وخصَّصوا لهن مراكز لتعليمهن من قبل معلمين ومدربين[10]، كما أنهم اعتبروا الغناء أحد المعايير الرئيسية لاقتنائهن، حتى فشا أمر بيع

---

(1) أنور محمود زناتي: "المجتمع الأندلسي في القرن الرابع الهجري شهادة مؤرخ معاصر"، مجلة الرافد، وزارة الثقافة والإعلام، الشارقة، س2010، ص 42.

(2) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص 58.

(3) ابن رشد الحفيد: تلخيص السياسة، نقله إلى العربية حسن مجيد العبيدي، وفاطمة كاظم الذهبي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1998، ص 181؛ ابن الخطيب: المصدر السابق، ص75.

(4) ابن بسام: المصدر السابق، مج4، ص 17.

(5) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص 94.

(6) ابن بسام: المصدر السابق، مج1، ص 112.

(7) ابن بلكين الأمير الزيري: المصدر السابق، ص 72.

(8) تحقيق محداد عبد القادر، المكتبة العربية الفرنسية، الجزائر، 1949.

(9) العذري أحمد بن عمر: ترصيع الأخبار، تح الأهواني عبد العزيز، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ص 18.

(10) عبد العزيز فيلالي: اندماج اليهود في الشعر والموسيقى الأندلسية، منشورات مؤسسة الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2016، ص16.

الإماء لأجل الغناء، الذي عُدَّ عند الفقهاء بدعة، من أشنع البدع[1].

وذكر الغناء والجواري يفضي إلى الحديث عن الخمر، فالغناء كما يقول أبو بكر الطرطوشي(ت520هـ/ 1126م) «صِنو الخمر ورضيعه وحليفه ونائبه، وهو جاسوس القلب وسارق المروءة والعقول...وهكذا تفعل الخمرة إذا مالت بشاربها»[2]، فكان الخمر أشهر الشراب، وكان أمرا عاديا في حياة الخاصة والعامة[3]، « فقد صنعت الخمور بقرطبة في فترة الفتنة (399هـ-422 هـ/ 1009-1031م)... وأدمن كثير من خلفاء تلك الفترة على الشراب، ولم تستطع الطبقة الحاكمة أن تستغني عن شربها في مجالس اللهو ومجالس الحكم»[4]، فكانوا يحيون تلك الحياة، ويجهرون بشربه دون حرج أو خوف[5].

فعبد الرحمن بن المنصور المسمى شنجول الذي عرف أمره «بالخلاعة والمجانة، فكان يخرج من منية إلى منية، ومن منتزه إلى منتزه، مع الخيالين والمغنين والمضحكين، مجاهرا بالفتك، وشرب الخمر»[6]، وكان « المعتمد بن عباد مولعا بالخمر، منغمسا في اللذات»[7]، غير أن أكثرهم إسرافا في الخمر ومجالسه، كما ذكر في البيان المغرب ، هو محمد بن عبد الجبار الذي « استعمل له من الخمر مائة خابية، ومائة بوق، ومائة عود طرب»[8]

وقد انتشر الخمر في كل مكان، واسترسل «السكارى في مخالطة الناس، والاستطالة بآثار السكر من العبث والهجر، وما أشبه ذلك من منكر أحوالهم» [9]، من القصور إلى الشوارع والحانات إلى الحدائق والمنتزهات وضفاف الأنهار[10]، حتى إن أحد المحتسبة نهى عن كراء القوارب لمن يستغلها في النزهة لشرب الخمر[11]

---

(1) ابن الحاج: نوازل ابن الحاج، مخطوط الخزانة العامة، الرباط، رقم ج55، ورقة 63. لقد أوردت الكتاب مخطوطا ومطبوعا لاعتماديهما الاثنين، لأن بع النوازل لا نجدها ضمن المطبوع غير أنها حاضرة في المخطوط، وذلك لأن المحقق قد اعتمد نسخة تاوردانت، أما المخطوط المعتمد في دراستي فهو نسخة الرباط.

(2) رسالة تحريم الغناء والسماع، تح محمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، ص 156.

(3) السيد عبد العزيز سالم: "صور من المجتمع الأندلسي في عصر الخلافة الأموية وعصر دويلات الطوائف من خلال النقوش المحفورة في علب العاج"، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، 1976، 1978، مج19، ص 63.

(4) أحمد بوخبزة: المرجع السابق، ج2، ص680.

(5) سامية مصطفى محمد مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة، في عصري المرابطين والموحدين، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2003، ص 248.

(6) ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح ج س كولان وإ ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج3، ص39.

(7) ابن الأبار: المصدر السابق، 2، ص54.

(8) ابن عذاري: المصدر السابق، ص80.

(9) ابن المناصف: تنبيه الحكام على مآخذ الحكام، نشر عبد الحفيظ منصور، دار التركي، تونس، 1988، ص 332.

(10) انخل بالنثيا جانثلت: تاريخ الفكر الأندلسي، تر حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، ص 44؛ السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 62؛ داماسو ألونسو: الشعر الأندلسي ضمن ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي، تر محمود علي مكي، المجلس الأعلى للثقافة، 1999، ص 107.

(11) ابن عبدون: المصدر السابق، ص 29.

وكان لانتشار الخمر بين أفراد المجتمع الأندلسي أثر في الأدب، فأصبحت "الخمريات" أكثر فنون الشعر ذيوعا بين الشعر الأندلسي [1]، حيث تغنى الشعراء بالخمر، ووصفوا أوانيها وساقيها ومجالسها، فأسرفوا في ذلك، وأفاضوا في وصف ما كان يدور في مجالس الخمر من عبث وتهتك وصخب [2].

6_عادات سيئة متنوعة:

_العشق والعلاقات المحرمة بين الجنسين وما ينتج عنها:

يبدأ العشق بالتغَني بالأشعار الماجنة، التي كان للنساء فيها نصيب، فقد برز منهن كل من ولادة(ت484هـ/ 1091م) عشيقة ابن زيدون(ت463هـ/ 1070م)، حيث كان من نظمها:(بحر الوافر)

أنا والله أصلح للمعالي وأمشي مشيتي وأتيه تيها

وأمكن عاشقي من صحن خدي : وأعطي قبلتي من يشتهيها[3]

لقد توجت هذه العلاقات باللقاءات[4]، التي يتخللها العناق والتقبيل، وقد وصف ذلك ابن قزمان في أحد أزجاله، في قوله:

الذي نموت في شان، كل يوم وليلة

ينقل ذا الغزالة، إنك إلي ذا الحجيلة

يا على تعنيقة في العالم، يا على فالعالم قبيلة

أي عنيق لـ للتعنيق فميم هو للمص[5]

هذه العلاقات المحرمة تجر العاشقين في معظم الأحيان إلى ارتكاب الزنا الذي فشا أمره بين الحرائر والإماء، وفي هذا الصدد تفيدنا المصادر النوازلية بالكثير من القضايا، فتجد على سبيل المثال من كانت أمته تزني لعدة مرات، ولا يحدها أو يبيعها[6]، أو زنت زوجته أو اتهمها بذلك[7].

_ظاهرة البغاء والدعارة

وفي هذا السياق انتشرت ظاهرة البغاء في المجتمع المغربي الأندلسي تحت إكراه السيد أو النخاس، سعيا وراء المال، دون التفات إلى تداعيات هذه الممارسة على المجتمع قاطبة، وعلى الإماء بوجه خاص باعتبارهن تجردهن من

---

(1) أحمد بوخبزة: المرجع السابق، ج2، ص 680؛ سامية جباري: الأدب والأخلاق في الأندلس في عصر الطوائف والمرابطين، دار قرطبة، الجزائر، ط1، 2001، ص 291.

(2) بالنثيا: المرجع السابق، ص 44؛ سامية مسعد مصطفى: المرجع السابق، ص 248.

(3) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، تح شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط4، ج2، ص203.

(4) ابن ورد الأندلسي(ت540هـ/ 1146م): أجوبة ابن ورد، تح الشريف محمد، مطبعة طوب بريس، الرباط، ط1، 2008، ص112؛ ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص277.

(5) الأهواني عبد العزيز: على هامش ديوان ابن قزمان، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1972، 1973، ص193.

(6) ابن ورد: المصدر السابق، ص111.

(7) المصدر نفسه، ص131.

إنسانيتهن، ويتعامل معها كسلعة قابلة للامتلاك والتداول[1].

وهذا ما نجده في كتب الحسبة، حيث يذكر السقطي قصة «رجل سمع نخاسا يخاطب رجلا: خمسة دراهم تعطيني والله، وحينئذ أسوقها لك، وأعطاه صاحبه الذي طلب ثم خرج عنا، وغاب قليلا، وجاء بخادم سوداء، وأشار لها غرفة بالبرانية المذكورة فطلعتها، وطلع صاحب الدار بعدها، وخلى بينهما ومشى لوجهه »[2].

فالدعارة كانت منتشرة، وقد كانت لها بيوت يطلق عليها دور الخراج، حيث تسكنها محترفات البغاء ويدعين بالخرجيرات[3]، وأن هذه البيوت لم تكن محرمة، وإنما كان يمنع ساكناتها من مخالطة المجتمع، أو الكشف عن هوياتهن، وقد ورد ذلك في نص للمحتسب ابن عبدون: « يجب أن ينهى نساء دور الخراج عن الكشف عن رؤوسهن خارج الفندق، والتحلي للنساء بزينتهن»[4]

وقد أوجب ابن حزم حد الزنا على العاملات بهذه الدور، وعلى الداخلين عليهن، فجعل جرمهن أشد من جرم الزاني والزانية لغير استئجار؛ لأنهم زادوا حراما آخر، وهو أكل المال بالباطل[5].

والشيء الأخس من هذا، استخدام نساء في استبراء تلك الإماء، حيث كان النخاسون «ينصبون بسوقهم امرأة، يسمونها الأمينة، توافق في النكر مذهبهم، وتشهد في استبراء الخدم بمقتضى مرادهم »[6]، ويسرد لنا السقطي حادثة في هذا الموضوع، حيث يقول: « استدعاني رجل له دينا وكلفني بداره كتب عقد جارية من المرتفعات اشتراها، فسألته عن استبرائها فلم أجده ولا البائع منه يعرف حكم ذلك. فقلت لهما: لابد أن للاستبراء عند ثقة من النساء تتفقان عليها أو عند رجل من الثقات من أهل الدين، والأمانة تكون عند أهله إلى أن يتحقق استبراؤها، فقال المشتري: تقول لي شيئا والله ما سمعته قط ولا عمل معي وإنما عادتي أشتري بالمعرض للخادم وأبيت معها ليلة ذلك اليوم»[7]

_ظاهرة الشذوذ الجنسي:

ناهيك عن انتشار ظاهرة الشذوذ الجنسي في معظم بلاطات الطوائف، وكان ضحايا هذه الفعلة الخصيان[8]، الذين انتشر أمرهم في دار الإسلام، حيث« تعلم الخصاء قوم من المسلمين فصاروا يخصون

---

(1) عبد الإله بنمليح: ظاهرة الرق في الغرب الإسلامي، منشورات الزمن، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 2002، ص94.

(2) في آداب الحسبة، تح ليفي بروفنسال، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، 1931، ص49

(3) ابن عبدون: المصدر السابق، ص50؛ عبد العزيز الأهواني: ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة، مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، ماي 1957، مج3، ج1، 155، 156.

(4) المصدر السابق، ص50.

(5) عبد الباقي السيد عبد الهادي: ابن حزم الظاهري وأثره في المجتمع الأندلسي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2014، ص224.

(6) السقطي: المصدر السابق، ص48.

(7) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(8) عبد الباقي السيد عبد الهادي: ابن حزم الظاهري وأثره في المجتمع الأندلسي، ص221.

ويستحلون المثلة»[1]، وقد خصص أحد الباحثين لهذا الموضوع بحثا شرح فيه معنى الخصاء، وقضية انتشاره وتداوله في المشرق والمغرب والأندلس في العصر الوسيط، وقدم في ذلك أمثلة كثيرة[2].

ونخلص من خلال ما تقدم أن المجتمع الأندلسي قد مسه الانحلال الخلقي، وقد شمل مختلف مجالات الحياة، وفشا في أوساط خاصته وعامته، ورغم اكتفائنا بهذا القدر من النماذج إلا أننا لا ننكر أن موضوع الفساد الأخلاقي في الأندلس يبتغي مجلدات لمحاولة جمع مختلف صوره ومعالجتها.

ثانيا: أهم آراء علماء عصر الطوائف ومقترحاتهم في مكافحة مظاهر الانحلال الأخلاقي

انطلاقا مما سبق، توضح مدى تسلل الانحلال الخلقي الى مختلف مجالات الحياة في الأندلس، وتمكنه من الخاصة والعامة في المجتمع، إلا أن ذلك قد لقي ردود أفعال ومواقف للكثير من العلماء الأندلسيين على اختلاف معارفهم وآرائهم، فرغم تعدد المناهل، وتنوع الأفكار، واختلاف الآراء إلا أن معظمهم قد تحملوا أعباء معالجة المشكلات الأخلاقية، وإسداء النصح لمختلف طبقات المجتمع، والعمل على توجيه عقول الأندلسيين ونفوسهم في الاتجاه الحسن. كما تصدوا للمفاسد بكافة الوسائل والأساليب المتاحة لهم في مواقفهم الدينية والاجتماعية، كالإفتاء والقضاء أو بالتأليف والوعظ والإرشاد[3].

وقد برز الكثير من المؤرخين والفقهاء والأدباء، وغيرهم ممن رصد الظاهرة الأخلاقية الأندلسية، وشخص علل انحراف المجتمع، وقدم آراءه النقدية والتوجيهية، فكانت مجالات المعاينة متنوعة، وأهمها:

1_مسألة الخلافة:

فكما ذكرت سابقا أن المؤرخ ابن حيان قد شهد عصر انقسام الأندلس، وتصدع الوحدة الى إمارات يتصدرها حكام مستبدون على رعاياهم، ومنشغلون بتحقيق رغباتهم في الترف، وانجر عن ذلك انحلال وفساد أخلاقي، وقد انعكست هذه الأوضاع على تفكير المؤرخ، وتجلى ذلك في كتاباته التي يعبر فيها عن مواقفه، حيث كان ناقدا ذا كلمة لاذعة، فالجماعة ووحدة الأندلس تعد القاعدة الأساسية التي يرتكز إليها فكره التاريخي[4]، فكثيرا ما يستخدم لفظ "الفتنة"، ويعني بها الانتزاء عن سلطان الجماعة[5]، ويعتبر أمراء الطوائف «أمراء فرقة »[6]« قد نكبوا(الناس) عن نهج الطريق، ذيادا عن الجماعة، وحوشا للفرقة»[7].

---

(1) على لسان الرقيق القيرواني نقلا عن المقري: نفح الطيب، ج1، ص145.

(2) عبد الإله بنمليح: المرجع السابق، ص ص83 .91.

(3) أحمد بوخبزة: المرجع السابق، ج2، ص 678، 684.

(4) نعيمة المني: "صور من النقد السياسي و الاجتماعي في الأدب الأندلسي"، كراسات أندلسية، تقديم عباس الجراري، مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، 2001، ص100.

(5) وداد القاضي: المرجع السابق، ص 62، 63.

(6) ابن بسام: المصدر السابق، مج3، ص117.

(7) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ولأن فكره السياسي يرتكز على السائس لا على المسوس[1]، فقد حمل الأمراء مسؤوليات ما يحدث من انحرافات سياسية واجتماعية، وعمل على رصد كل ما يخص هذه الطبقة من انحراف وتدني للأخلاق، فسجل لنا العديد من صورها، فمن صور الجور والظلم للرعية والتعدي على أحكام الشريعة[2]، إلى صور الانحراف الأخلاقي، الذي جسدته حفلات المجون والتبذير للأمراء والوزراء، واستحلال الحرمات، والتخلق بأخلاق الجاهلية[3]، وصور الاستعانة بالنصارى، وتربص الأمراء ببعضهم البعض[4].

كما أن الفقيه أبا الوليد الباجي لم يتجاهل أمر الوحدة المبتلاة بين أهله في الأندلس بل كرس جزءا لا بأس به من حياته للعمل لها، فقد كان يرى أن الالتفات حول الأمير الجائر خير من الفتنة، وقد عبر عن ذلك في رسالته لولديه، قائلا: «...إياكما والتعريض للخلاف لهم (لولاة الأمر) والقيام عليهم، فإن في ذلك العطب العاجل، والخزي الآجل...فالتزما الطاعة وملازمة الجماعة، فإن السلطان الجائر أرفأ بالناس من الفتنة وانطلاق الأيدي والألسنة»[5].

أما ابن حزم، فإن موضوع الوحدة يعد أحد محاوره الكبرى في فكره السياسي، التي عالجها في إطار الإمامة أو الخلافة، فقد عالج هذه القضية بخلاف عدد من معاصريه، فلم يتعرض لها بأسلوب أخلاقي وعظي، وإنما اختار طريقا آخر يضع المسألة في إطارها الصحيح، حيث تناول الأصول الفقهية والشرعية المولدة للفتنة والتجزئة[6]، ففي إطار البعد السياسي، فإن تجربته السياسية جعلته يؤجل الشرعية الأصلية؛ لتفادي مخاطر الفتنة التي عايشها[7].

وقد كانت مشكلة حكم أمراء الطوائف، وما ارتبط بها من ظلم وغصب وتمويل مغتصب ومحرم إحدى المشكلات الأساسية التي انتقدها ابن حزم في كتاباته[8]، وفي رسالته "التلخيص لوجوه التخليص" عدة نصوص يدلي فيها بانتقاده اللاذع لأمراء الطوائف، فمنها قوله:« إن المتحكم في مصائر البلاد والعباد بشبه الجزيرة حفنة

---

(1) وداد القاضي: المرجع السابق، ص 300.

(2) أنور محمود زناتي: المرجع السابق، ص 42.

(3) ابن بسام: المصدر السابق، مج1، ص11، 145، 376.مج4، ص17؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج3، ص 252، 280؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص 58، 62، 75، 76، 84، 94، 129، 149، 156.

(4). ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص178، 181.

(5) الباجي أبو الوليد: رسالة الباجي لولديه، تح عبد الرحمن هلال، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مج1، ع3، ص43.

(6) امحمد جبرون: الفكر السياسي في المغرب والأندلس في القرن الخامس الهجري، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2008، ص 141، 143.

(7) ميغيل كروز هيرناندیس: "الفكر الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية"، ضمن الحضارة الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى خضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1998، ج2، ص1099.

(8) عبد البديع عبد العزيز الخولي: المرجع السابق، ص130.

من سلاطين الجور، المتغلبين بغير وجه حق»[1]، الذي يعتبر فيه أن هؤلاء قد اغتصبوا الحكم، فهم ليسوا ذوي حق فيه، ولا يمثلون إلا الجور والاستبداد.

2-معادلة الصلاح والفساد عند علماء الأندلس:

لقد اعتبر الفقهاء والعلماء في الأندلس أن مسؤولية الصلاح والفساد في المجتمع تعود لعدة أطراف سياسية ودينية واجتماعية، ولذلك فقد توصل هؤلاء إلى عدة معادلات، يمكن اعتبارها تاريخية، تتكرر مع مختلف المجتمعات في شتى العصور.

ومن بين هذه المعادلات:

-المعادلة الأولى التي يعتمد فيها الفقهاء "السلطان أساس الصلاح والفساد"، من خلال قول أحدهم: «بصلاح الرئيس يصلح الأنام، وبفساده يفسد النظام»[2]، ويتفق القول مع ما اعتبره ابن عبد البر في تقسيمه لكتابه بهجة المجالس، حيث تتعلق بالسلطان ومظاهر الفساد فيه، فمنها باب السلطان والسياسة، وباب الظلم والجور، وباب البغي والحسد، وباب الحق والباطل، وقد استعان في عرض تلك الأبواب بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وأقوال العلماء والشعراء[3].

وعلى وجه النصح للسلطان، يبين ابن حزم أنه: «لا شيء أضر على السلطان من كثرة المتفرغين حواليه، فالحازم يشغلهم بما لا يظلمهم فيه، فإن لم يفعل شغلوه بما يظلمونه فيه»[4]، فما كان السلطان حازما قائما بشؤون دولته، لا يجد فراغا ولا متفرغين؛ لأن كلاهما مفسدة.

_أما المعادلة الثانية، فترتكز على "القاضي والوزير"، وذلك في قول ابن عبدون: «فبصلاح القاضي يكون صلاح الرئيس وبصلاح الرئيس يكون صلاح العباد والبلاد، والوزير واسطة بينهما، وباتفاق القاضي والوزير يكون صلاح الدولة وصلاح العالمين»[5].

_والمعادلة الثالثة، فتعتبر "العلماء هم أساس الفساد"؛ لحرصهم على الدنيا وجهلهم وجمود فكرهم[6]، كما يراها كل من ابن عبد البر وابن حزم، فقد ورد عن هذا الأخير انتقاده لفساد الفقهاء في قوله: «ولا يغرنكم الفساق، والمنتسبون إلى الفقه، اللابسون جلود الضأن على قلوب السباع، المزينون لأهل الشر شرهم، الناصرون

---

(1) المصدر السابق، ص 173، 174.

(2) ابن عبدون: المصدر السابق، ص 04.

(3) انظر أبواب الكتاب. ابن عبد البر القرطبي: بهجة المجالس وأنس الجالس وشحذ الذهن والهاجس، تح محمد موسى الخولي، مراجعة عبد القادر القط، الدار المصرية، للتأليف والترجمة، القاهرة، ط1، 1962.

(4) رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق، ضمن رسائل ابن حزم، تح إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط2، 2007، مج1، ص 350.

(5) المصدر نفسه، 15.

(6) عبد البديع عبد العزيز الخولي: المرجع السابق، ص134.

لهم على فسقهم»[1]، وهذا معناه أن فساد الفقهاء يزيد من انتشار المفاسد؛ لأنه هو المعين عليها والناصر لها.

-أما المعادلة الرابعة، فالمسؤول فيها "الأمير والفقيه"، والتي جسدها ابن حيان في قوله الذي أورده ابن بسام في ذخيرته: «ولم تزل آفة الناس منذ خلقوا في صنفين منهم، هم كالملح فيهم، الأمراء والفقهاء، قلما تتنافر أشكالهم بصلاحهم يصلحون وبفسادهم يردون »[2]، وقد فطن أيضا ابن حزم في أن مكمن الداء في العلماء الذين تخلوا عن دورهم في إسداء النصيحة للحكام، وانضووا تحت لوائهم يبررون طغيانهم وفسادهم[3]. فهذه معادلة تاريخية طرفاها: صلاح الأمراء وصلاح الفقهاء، ولا تصح إلا بصحة الأوضاع السياسية وصحة الامتثال الديني[4].

هذه المعادلات الأربع التي يتفق فيها كل من ابن عبد البر وابن حزم وابن حيان، ويعود ذلك إلى الروابط التي تجمعهم والقضايا التي يتفقون في تشخيصها وعلاجها، ومحاولتهم الموحدة في إيجاد حلول للخروج من الوضع المختل أخلاقيا، والمرتبط بصورة مباشرة بالأمراء والعلماء.

-أما المعادلة الأخيرة، فيضيفها ابن حزم، بالتركيز على "الجنس البشري في الصلاح والفساد" والاختلاف فيه بين الرجال والنساء، حيث يضع تفسيرا نفسيا للصلاح، وقد وضح ذلك في قوله:«...إني رأيت الناس يغلطون في معنى هذه الكلمة، أعني "الصلاح" غلطا بعيدا، والصحيح في حقيقة تفسيرها أن الصالحة من النساء هي التي إذا ضبطت انضبطت، وإذا قطعت عنها الذرائع أمسكت، والفاسدة إذا ضبطت لم تنضبط، وإذا حيل بينها وبين الأسباب التي تسهل الفواحش، تحيلت في أن تتوصل إليها، بضروب من الحيل. والصالح من الرجال من لا يداخل أهل الفسوق، ولا يتعرض إلى المناظر الجالبة للأهواء، ولا يرفع طرفه إلى الصور البديعة التركيب، والفاسق من يعاشر أهل النقص، ويشير بصره إلى الوجوه البديعة الصنعة، ويتصدى للمشاهد المؤذية، ويحب الخلوات المهلكات...»[5].

3- التدوين في الآداب السلطانية ونصح الأمراء:

إن أمر الصلاح والفساد، كما رأينا مقترن بصفة خاصة بالنخبة الحاكمة التي تتمثل في السلطان والوزير والنخبة العلمية الفقهية المعينة له، والمتمثلة في القاضي.

وللنظر في قواعد السلوك، وإسداء النصح لهؤلاء الأمراء والسلاطين في بلاد الأندلس، ألفت العديد من الكتب والرسائل الوعظية، التي تمثل الآداب السلطانية، فلا تكاد تخلو تجربة سياسية وحضارية في الإطار الإسلامي من نصوص ومؤلفات تندرج في بابها، وتستمد قوتها وسلطتها من الفضائل الأخلاقية، المطلوبة شرعا في الإمام

---

(1) ابن حزم: رسالة التلخيص، ص 173

(2) المصدر نفسه، مج3، ص 117.

(3) عبد الباقي السيد عبد الهادي: ابن حزم الظاهري وأثره في المجتمع الأندلسي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2014، ص181.

(4) نعيمة المني: المرجع السابق، ص 101.

(5) ابن حزم: رسالة طوق الحمامة، ضمن رسائل ابن حزم، تح إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط2، 2007، مج1، ص 270، 271.

والوالي[1].

ومن هذه المؤلفات: "الذهب المسبوك في وعظ الملوك" للحميدي[2]، وكتاب "السياسة" لابن حزم[3]، و"سراج الملوك" للطرطوشي[4].

4-الاحتساب والإصلاح:

إن المتصفح لكتب الحسبة التي تتضمن ما يقوم به المحتسبة في وظيفتهم، المتمثلة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث يضبطون الأسعار في الأسواق، ويقومون بمحاربة الغش في المعاملات، وتقديم النصيحة للسلطان والرعية[5]، فإنه يجد نفسه أمام صور كثيرة للفساد الأخلاقي، كما يجد ضمنها ردود فعل المحتسبة، حيث يشخصون الظواهر، ويبحثون عن عللها ثم يقدمون الكيفيات والطرق لمحاربة المفاسد، فتارة بالنهي، وتارة بالزجر، وأخرى بطلب تدخل ذوي الأمر من قضاة وحكام، وقد ترك الفقهاء مجموعة من تلك المدونات الفقهية، التي تعنى بالحسبة، ونخص بالذكر منها آداب الحسبة لابن عبدون[6]، وآداب الحسبة للسقطي[7].

هذه المدونات التي يجمع فيها الفقهاء المحتسبة ملاحظاتهم ومشاهداتهم، وكل ما يدخل في ممارستهم اليومية لوظيفتهم، لذلك فقد كانت مليئة بصور الانحلال الأخلاقي في مختلف مجالات الحياة. وعلاوة على ذلك، فكتب الحسبة تمثل الدعوة الإصلاحية التي يسهر عليها المحتسبة، ويدعون الى تجسيدها، والقيام بها، وعدم التهاون فيها؛ لأن الفساد انتشر والبلوى عمت[8].

إضافة إلى ما ورد في كتب النوازل، التي تذكر تشدد الفقهاء في أمر الظلم، وعملهم على قمعه، فقد أجاب ابن سهل من سأله في أمر المؤذين للناس باللسان واليد والمفسدين والمتعدين، فقال بوجوب تأديبهم وحبسهم؛ لأنه كما يرى «الإغلاظ على أهل الشر والقمع لهم والأخذ على أيديهم مما يصلح الله به العباد والبلاد» [9].

كما ألزم الفقيه ابن القاسم (ت608هـ/ 1212م) جهاد الظلمة، فيما ورد من قوله في أحد أجوبته: «ويلزم جهاد الأمة الظالمة الذين يأخذون أموال الناس بالرجيف والغارة والهجم بالباطل، وتؤكل أموالهم وهي

---

(1) امحمد جبرون: المرجع السابق، ص 129.

(2) الذهب المسبوك في وعظ الملوك، تح: عبد الحميد عويس وأبو عبد الرحمن بن عقيل، الرياض، دار عالم الكتب، ط1، 1982.

(3) شذرات من كتاب السياسة، نشر الكتاني محمد ابراهيم ، مجلة تطوان، ع5، سنة 1960.

(4) سراج الملوك، تح: محمد فتحي ابو بكر، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1994.

(5) يوسف بنلمهدي: أصول الفكر الأخلاقي بالمغرب والأندلس، مركز الإمام الجنيد للدراسات والأبحاث الصوفية المتخصصة، وجدة، ط1، 2014، ص 91.

(6) المصدر السابق.

(7) المصدر السابق.

(8) المصدر نفسه، ص 323.

(9) المصدر السابق، ص686.

حلال، وقتلهم جهاد حتى يكفوا عن الناس»[1]

وإضافة إلى ذلك، فقد تجرد الفقهاء للتحذير من بعض الرذائل والمنكرات، كرذيلة السكر وآفة شرب الخمر[2]، فابن حزم قد انتقد الظاهرة، حيث:

_ انتقد الضريبة التي فرضها ملوك الطوائف على إباحة بيع الخمر من المسلمين في مدن الأندلس، ووصف ذلك بأنه هتك الأستار، ونقض شرائع الإسلام، وحل عراه، وإحداث دين جديد[3]، كما عارض ما كان يقوم به بعض الأهالي من تخزين الخمر وبيعها[4].

_ نهى عن شرب الخمر، وشدد في ذلك[5]، وكذا عن الاستماع إلى الشعر الذي اختص بوصف الخمر والخلاعة[6].

وابن عبدون الذي وضع في كتابه حدودا للخمر وصاحبه، بين الجلد لشاربه[7]، والتأديب لبائعه[8]، والسجن للمجهر به بالعربدة في الأعراس [9].

كما عمل الفقهاء على التحذير من الغناء؛ كونه «ينبت الفتنة ويولد خواطر السوء في النفس، ويصرفها إلى الخلاعة واللذات...ويحثها على الصبابة والانهماك والسخف والمجون...كما دعوا إلى قطع كل الملهين وكف الرعاع من المحرمات واللهو والسماع...»[10]

إلا أن ابن حزم قد عارضهم وذلك بإباحته للغناء، مستندا في ذلك إلى مختلف الدلائل والحجج النصية، في كتابه المحلى[11]، إضافة إلى الرسالة التي خصصها في تبيان إباحة الغناء[12]، غير أنه في موضع آخر ذكر المفاسد التي تنتج عن مجالس الغناء، وذلك في قوله: «قد يعظم البلاء وتكلب الشهوة ويهون القبيح ويرق الدين حتى

---

(1) ابن القاسم يحي بن علي بن يحي الجزيري الأندلسي: أجوبة ابن القاسم، تح محمد باحو، مطبعة طوب بريس، الرباط، ط1، 2010، ص171.

(2) ابن عبدون: المصدر السابق، ص 29؛ ابن المناصف: المصدر السابق، ص 332.

(3) ابن حزم: رسالة التلخيص، ص176.

(4) عبد الباقي السيد عبد الهادي: ابن حزم الظاهري وأثره في المجتمع الأندلسي، 222.

(5) ابن حزم: المحلى بالآثار، تح عبد الغفار البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2002، ج6، 176، ج9، ص174.

(6) ابن حزم: رسالة في مراتب العلوم، ضمن رسائل ابن حزم، تح إحسان عباس، مج2، ص68.

(7) المصدر السابق، ص50

(8) المصدر نفسه، ص 51.

(9) المصدر نفسه، ص 54.

(10) أحمد بوخبزة: المرجع السابق، ج2، ص 685.

(11) ابن حزم: المحلى بالآثار، ج9، ص ص559_571.

(12) ابن حزم: رسالة في الغناء الملهي أمباح هو أم محضور، ضمن رسائل ابن حزم، تح إحسان عباس، مج1، ص ص 430_439.

يرضى الإنسان في جنب وصوله إلى مراده بالقبائح والفضائح»[1]، وإذا تم الجمع بين مختلف أقواله، فإننا نستخلص أن ابن حزم أباح الغناء، وعارض المجون والخلاعة التي تكون في مجالسه.

5-التربية وإصلاح النفوس:

يعد الفقيه ابن حزم أكثر العلماء الذين اهتموا بتربية النفوس وإصلاحها، حيث إنه يرى «أن صلاح النفس ومداواتها من فسادها أنفع من مداواة الجسد وإصلاحه؛ لأن مداواة الجسد تابعة لمداواة النفس»[2]، واتجه بذلك إلى الأخلاق اتجاها عمليا واقعيا، مستمدا من بيئته وعصره، الذي ساده تراخ أخلاقي، فقد جاءت آراؤه تعبيرا عن واقعه الأندلسي، الذي انشغل به، مستخرجا علله، ومحاولا علاجها[3].

وتعد رسالته "الأخلاق والسير في مداواة النفوس" مؤلفا يسطر فيه مبادئ السلوك الأخلاقي، الذي يجب أن يكون مؤسسا على توازن الأفعال[4]، ويضع به خلاصة تحليلاته، واستنتاجاته لمعالجة النفوس وأخلاقها، وأهم ما جاء فيه:

-اللذائذ الروحية أعظم من اللذائذ المادية.

-الانصراف إلى حيازة رضا الله تعالى هو السبيل إلى طرد الهم .

-التمسك بالحق والثبات عليه هو الفضيلة الكبرى[5]

فابن حزم يقدم نظرية جديدة حول غاية الأخلاق، وهو يحددها في مصطلح جديد، هو نظرية "طرد الهم"، التي يمكن اعتبارها موازية لنظرية السعادة اليونانية[6].كما أنه يقدم في هذا الصدد تعريفا للفضيلة، التي يقول عنها أنها: «وسيطة بين الإفراط والتفريط فكلا الطرفين مذموم والفضيلة بينهما محمودة» [7]

وينتقل ابن حزم في رسالة "طوق الحمامة" إلى موضوع اتباع الهوى، وضرره على أخلاق الإنسان ودينه، في قوله: «وكثير من الناس يطيعون أنفسهم، ويعصون عقولهم، ويتبعون أهواءهم، ويرفضون أديانهم، ويتجنبون ما حض الله تعالى عليه، ورتبه في الألباب السليمة من العفة، وترك المعاصي، ومقارعة الهوى، ويخالفون ربهم، ويوافقون إبليس فيما يحبه من الشهوة، فيواقعون المعصية في حبهم»[8]

---

(1) طوق الحمامة، ص 279.

(2) ابن حزم: رسالة التوقيف على شارع النحاة، ضمن رسائل ابن حزم، تح إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 2007، مج1، ص 134.

(3) عبد اللطيف شرارة: ابن حزم رائد الفكر العلمي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ص 107

(4) ميغيل كروز هيرناندیس: المرجع السابق، ص1098.

(5) عبد اللطيف شرارة: المرجع السابق، ص108.

(6) ابن حزم: رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق ضمن رسائل ابن حزم، تح إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 2007، مج1، ص 336؛ طاهر حامد: "التجربة الأخلاقية عند ابن حزم الأندلسي"، مجلة دراسات عربية وإسلامية، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط1، يوليو ض1983، ص 101، 111.

(7) رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق، ص 401.

(8) ص 267.

فيجمع ابن حزم بين اتباع الهوى والنفس الأمارة بالسوء، وما ينجر عنهما من معاصي وانحرافات أخلاقية، وكأنه يريد أن يقدم علة من علل الفساد الأخلاقي، فيجعله في اتباع الإنسان هواه، والتعدي على حدود الله.

وفي كل ما عرضه ابن حزم من حلول وانتقادات سياسية واجتماعية، فإنه كما يقول الباحث عبد الباقي السيد عبد الهادي: لم تكن تحدوه نزعة عاطفية أو شخصية، وإنما كانت تحدوه نزعة إسلامية لاحتواء الفتنة والعودة إلى عصر القوة والمنعة [1].

أما ابن باجة، فقد اهتم هو الآخر بمشاكل أمته الاجتماعية، ففي إطار "تدبير المتوحد" حلل البنى الاجتماعية والسلوك الاجتماعي، والطرق الناجعة لتحقيق سعادة الإنسان، ويشكل دواء روحيا متمثلا في التدبير الذي يعني النسق العلاجي[2].

6-الأدب والثورة على مظاهر الفساد:

لقد كان الوضع الأخلاقي السياسي والاجتماعي بعد سقوط الخلافة وظهور ملوك الطوائف متأزما ومنذرا بالضياع، مما استدعى مواقف وردود فعل نخبوية مثل أحد أطرافها الأدباء، الذين هبوا يعبرون عن سخطهم وتذمرهم من حكم ملوك الطوائف.

والملفت للأمر، أنه إذا عرض شعر هؤلاء الأدباء يخيل للقارئ أنهم لم يعرفوا في حياتهم إلا المجون والخمر والخلاعة، ولكن في المقابل نجد لهم أشعارا تحث على مكارم الأخلاق، وتستهجن مفاسدها، وتنتقد الانحلال والفساد.

ويعد الشاعر السميسر(ت480هـ/ 1087م) أحد الشعراء، الذين يمثلون الاتجاه الغاضب من ملوك الطوائف، مستنكرا في أشعاره تحالفهم مع الأعداء ضد المسلمين، والتشفي بزوالهم في قوله: (بحر المنسرح)

خنتم فهنتم وكم أهنتم زمان كنتم بلا عيون
فأنت تحت كل ريح تحت وأنتم دون كل دون
سكنتم يا رياح عـاد وكل ريح إلى سكون [3]

ويعلل كذلك أحد الشعراء تراجع المسلمين، وانهزامهم أمام النصارى في تفاقم ذنوبهم، وتفشي الشر، والظلم فيهم، ورياء أهل الصلاح، في قوله:(بحر الكامل)

لولا ذنوب المسلمين وأنهم ركبوا الكبائر ما لهن خفاء
ما كان ينصر للنصارى فارس أبدا عليهم فالذنوب الداء
فشرارهم لا يختفون بشرهم وصلاح منتحلي الصلاح رياء[4]

ويعلل ابن سعيد الأنصاري(ت417هـ/ 1026م) فساد الأحوال في اعتلاء السفلة من الناس المناصب،

---

(1) ابن حزم الظاهري وأثره في المجتمع الأندلسي، ص180.
(2) ميغيل كروز هيرناندیس: المرجع السابق، ص1104.
(3) المقري: نفح الطيب، ج5، ص51.
(4) الحميري: المصدر السابق، ص91.

في قوله:(بحر البسيط)

ولى زمان وكان الناس تشبهه فالآن فوضى، فلا دهر ولا ناس

أسافل قد علت لم تعل من كرم ومشرفات الأعالي منه أنكاس[1]

ولم يسلم الفقهاء أيضا من النقد، فقد قدم ابن قزمان صورة سيئة للفقهاء، وصورهم في أزجاله، بفساد أخلاقهم في حياتهم الخاصة، والتظاهر أمام الناس بالصلاح والتقوى، في قوله:

وفقيه النوار، إنما هو الخيري

بالنهار يوري وقار، ويري بيع مري[2]

وانتقد ابن الطراوة(ت528هـ/ 1134م) فقهاء بلده مالقة في سعيهم وراء الأموال، وتلقيهم الرشاوى، والإفتاء بالرخص، في قوله:(بحر البسيط)

إذا رأوا جملا يأتي على بعد مدوا إليه جميعا كف مقتنص

إن جئتهم فارغا لزوك في قرن وإن رأوا رشوة أفتوك بالرخص[3]

واتهمهم ابن البني(ت488هـ، أو 450هـ/ 1095أو1097م) بالرياء وجمع الأموال، في هجاء:(بحر الكامل)

أهل الرياء لبستم ناموسكم كالذئب أدلج في الظلام العاتم

فملكتم الدنيا بمذهب مالك وقسمتم الأموال بابن قاسم

وركبتم شهب الدواب بأشهب وبأصبغ صبغت لكم في العالم[4]

والأمر نفسه لأبي إسحاق الإلبيري(ت460هـ/ 1068م)، حيث قال في العلماء:(بحر الكامل)

لا شيء أخسر صفقة من عالم لعبت به الدنيا مع الجهال

فغدا يفرق دينه أيدي سبا وبديله حرصا لجمع المال

لا خير في كسب الحرام وقلما يرجى الخلاص لكاسب لحلال[5]

خاتمة

وختاما لهذه الورقة المتواضعة، يجدر بي أن أستخلص أن الفساد الأخلاقي في الأندلس قد ظهرت بوادره في القرون الأخيرة من عهد بني أمية أو بالأحرى بداية من القرن الرابع الهجري، حيث تجلى ذلك في مختلف مظاهر

---

(1) ابن عسكر وابن خميس: أعلام مالقة، تح عبد الله المرابط الترغي، دار الأمان الرباط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1999، ص319.

(2) عبد العزيز الأهواني: على هامش ديوان ابن قزمان، ص55.

(3) ابن الأبار: تحفة القادم، تح إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1986، ص18، 19.

(4) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح أحمد سعيد العريان، القاهرة، 1963، ص236؛ المقري: نفح الطيب، ج4، ص448.

(5) المقري: نفح الطيب، ج4، ص318.

الفساد التي مست مختلف فئات المجتمع الأندلسي وطبقاته.

فقد تعددت صور الفساد من فساد سياسي تجسد في التناحر على السلطة والاستبداد على الرعية إلى فساد النخبة كالفقهاء والأدباء حيث سعى بعض أفرادها في خدمة السلطان وخدمة المصالح الشخصية، فتعدوا سلطة الأخلاق، وكان همهم الترف والثروة مثل سلاطينهم، وهذا ما ساعد على انتشار المنكرات في أوساط المجتمع الأندلسي خاصة وعامة، تعدت كل القيم الإسلامية والأعراف الاجتماعية بتفشي أسوء مفاسد الأخلاق كالخمر والفحش وممارسة الرذيلة على العلن.

غير أن هذا لم يمنع من وجود فئة من العلماء ودعاة الإصلاح الذين شغلتهم قضايا الفساد، فعملوا على تشخيص عللها ومحاولة إصلاح الانحرافات على اختلافها وتنوعها، فتعددت بذلك الآراء وتنوعت الأساليب المستخدمة في ذلك، فكان منها النقد اللاذع والاحتساب الرادع بإصدار الأحكام والعقوبات، والنصح والوعظ نثرا ونظما.

فكانت مواقف العلماء في عصر الطوائف بمثابة ثورة لنخبة المجتمع على مختلف مظاهر الانحلال الأخلاقي في المجتمع الأندلسي، وحفظت مؤلفاتهم تلك الآراء فظلت بمثابة نظريات ومعادلات يعتمدها المنظرون لموضوع الأخلاق في المجتمعات، وخصوصا المجتمعات الإسلامية.

قائمة المصادر والمراجع

_ابن الأبار أبو عبد الله القضاعي(ت685هـ/ 894م): الحلة السيراء، تح حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1985، ج1.

_ابن الأبار: تحفة القادم، تح إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1.

_ابن الحاج التجيبي القرطبي (ت529هـ/ 1135م): نوازل ابن الحاج، مخطوط الخزانة العامة، الرباط، رقم ج55، ورقة 63.

_ابن الخطيب أبو عبد الله لسان الدين السلماني الغرناطي(ت776هـ/ 1374م): أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام، تح ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2004

_ابن القاسم يحي بن علي بن يحي الجزيري الأندلسي(ت661هـ/ 1263م): أجوبة ابن القاسم، تح محمد باحو، مطبعة طوب بريس، الرباط، ط1، 2010.

ـابن المناصف أبو عبد الله الأزدي القرطبي(ت620هـ/ 1223م): تنبيه الحكام على مآخذ الحكام، نشر عبد الحفيظ منصور، دار التركي، تونس، 1988.

ـابن بسام أبو الحسن علي الشنتريني(ت542هـ/ 1147م): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1998، مج3.

ـابن بشكوال أبو القاسم خلف(ت578هـ/ 1183م): الصلة في تاريخ علماء الأندلس، تح صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، ج2.

ـابن بلكين الأمير عبد الله بن باديس بن حبوس الزيري(ت483هـ/ 1090م): التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، تح علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2006.

ـابن حزم أبو علي الظاهري الأندلسي(ت 456هـ/ 1064م): المحلى بالآثار، تح عبد الغفار البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2002، ج6، 176، ج9.

ـابن حزم: رسالة التلخيص في وجوه التخليص، ضمن رسائل ابن حزم، تح إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 2007.

ـابن حزم: رسالة التوقيف على شارع النحاة، ضمن رسائل ابن حزم، تح إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 2007، مج1.

ـابن حزم: رسالة طوق الحمامة، ضمن رسائل ابن حزم، تح إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط2، 2007، مج1.

ـابن حزم: رسالة في الرد على ابن النغريلة اليهودي، ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي، تح إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 2007، ج1.

ـابن حزم: رسالة في الغناء الملهي أمباح هو أم محضور، ضمن رسائل ابن حزم، تح إحسان عباس، مج1.

ـابن حزم: رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق ضمن رسائل ابن حزم، تح إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 2007، مج1.

ـابن حزم: رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق، ضمن رسائل ابن حزم، تح إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 2007، مج1

ـابن حزم: رسالة في مراتب العلوم، ضمن رسائل ابن حزم، تح إحسان عباس، مج2.

ـابن حزم: شذرات من كتاب السياسة، نشر الكتاني محمد ابراهيم، مجلة تطوان، ع5، سنة 1960.

ـابن دحية أبو الخطاب الأندلسي(ت 633هـ/ 1137م): المطرب في أشعار أهل المغرب، تح إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1954.

ـابن رشد الحفيد(ت595هـ/ 1126م): تلخيص السياسة، نقله إلى العربية حسن مجيد العبيدي، وفاطمة كاظم الذهبي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1998.

_ابن سعيد أبو الحسن الأندلسي المغربي(ت685هـ/ 1286م): المغرب في حلى المغرب، تح شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط4، ج2.

_ابن سهل أبو أصبغ عيسى بن عبد الله الأسدي الجياني(ت 486هـ/ 1093م): ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام، تح يحي مراد، دار الحديث، القاهرة، ط2، 2007.

_ابن عبد البر القرطبي أبو عمر يوسف النمري القرطبي(ت463هـ/ 1071م): القصد والأمم في التعريف بأصول وأنساب العرب والعجم، طبعة السعادة، 1350هـ.

_ابن عبد البر القرطبي: بهجة المجالس وأنس الجالس وشحذ الذهن والهاجس، تح محمد موسى الخولي، مراجعة عبد القادر القط، الدار المصرية، للتأليف والترجمة، القاهرة، ط1، 1962.

_ابن عبدون: في آداب الحسبة، تح ليفي بروفنسال، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، 1931.

_ابن عسكر وابن خميس: أعلام مالقة، تح عبد الله المرابط الترغي، دار الأمان الرباط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1999.

_ابن ورد الأندلسي أبو القاسم أحمد التميمي(ت540هـ/ 1146م): أجوبة ابن ورد، تح الشريف محمد، مطبعة طوب بريس، الرباط، ط1، 2008.

_الأعمى التطيلي(ت525هـ/ 1130م) : ديوان الأعمى التطيلي، تح إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

_الأهواني عبد العزيز: على هامش ديوان ابن قزمان، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1972، 1973.

_الباجي أبو الوليد سليمان بن خلف الأندلسي(ت474هـ/ 1081م): رسالة الباجي لولديه، تح عبد الرحمن هلال، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مج1، ع3.

_الحميدي أبو عبد الله الميورقي الأندلسي(ت488هـ/ 1095م): جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966.

_الحميري ابن عبد المنعم(ت900هـ/ 1495م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2.

_السقطي: في آداب الحسبة، تح ليفي بروفنسال، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية،1931.

_السيد عبد العزيز سالم: "صور من المجتمع الأندلسي في عصر الخلافة الأموية وعصر دويلات الطوائف من خلال النقوش المحفورة في علب العاج"، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، وزارة التعليم العالي، جمهورية مصر العربية، مدريد 1976، 1978، مج19.

_السيد عبد العزيز سالم: "صور من المجتمع الأندلسي في عصر الخلافة الأموية وعصر دويلات الطوائف من خلال النقوش المحفورة في علب العاج"، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، 1976، 1978، مج19.

_الطرطوشي أبو بكر الأندلسي(ت520هـ/ 1126م): رسالة تحريم الغناء والسماع، تح محمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003،

_الطرطوشي: سراج الملوك، تح: محمد فتحي ابو بكر، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1994.

_العذري أحمد بن عمر(ت478هـ/ 1085م): ترصيع الأخبار، تح الأهواني عبد العزيز، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد.

_القرافي أبو العباس أحمد ن ادريس الصنهاجي(ت684هـ/ 1285م): الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق، تح خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988، ج3.

_المقري أبو العباس شهاب الدين التلمساني(ت1041هـ/ 1631م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

_امحمد جبرون: الفكر السياسي في المغرب والأندلس في القرن الخامس الهجري، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2008.

_انخل بالنثيا جانثلت: تاريخ الفكر الأندلسي، تر حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية.

_أنور محمود زناتي: " المجتمع الأندلسي في القرن الرابع الهجري شهادة مؤرخ معاصر"، مجلة الرافد، وزارة الثقافة والإعلام، الشارقة، س2010.

_داماسو ألونسو: الشعر الأندلسي ضمن ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي، تر محمود علي مكي، المجلس الأعلى للثقافة، 1999.

_سامية جباري: الأدب والأخلاق في الأندلس في عصر الطوائف والمرابطين، دار قرطبة، الجزائر، ط1، 2001.

_سامية مصطفى محمد مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة، في عصري المرابطين والموحدين، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2003.

_طاهر حامد: "التجربة الأخلاقية عند ابن حزم الأندلسي"، مجلة دراسات عربية وإسلامية، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط1، يوليو ض1983.

_عبد الإله بنمليح: ظاهرة الرق في الغرب الإسلامي، منشورات الزمن، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 2002.

_عبد الباقي السيد عبد الهادي: ابن حزم الظاهري وأثره في المجتمع الأندلسي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2014.

_عبد الباقي السيد عبد الهادي: ابن حزم الظاهري وأثره في المجتمع الأندلسي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2014.

_عبد البديع عبد العزيز عمر الخولي: الفكر التربوي في الأندلس، دار الفكر العربي، ط2، 1985.

_عبد السلام الهراس: "مأساة الأندلس"، مجلة المناهل، إصدار وزارة الشؤون الثقافية، المملكة المغربية، ع 29، س11، جمادى الثانية1404 / مارس1984.

_عبد العزيز الأهواني: ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة، مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، ماي 1957، مج3، ج1.

_عبد العزيز فيلالي: اندماج اليهود في الشعر والموسيقى الأندلسية، منشورات مؤسسة الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2016.

_عبد اللطيف شرارة: ابن حزم رائد الفكر العلمي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت.

_عبد الله بن مسفر الوقداني: " نظرية الفساد الأخلاقي عند ابن خلدون"، دورية الإدارة العامة، معهد الإدارة، الرياض، مج50، ع4، شوال 1430، سبتمبر2010.

_عبد الواحد المراكشي(ت647هـ/ 1250م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح أحمد سعيد العريان، القاهرة، 1963، ص236؛ المقري: نفح الطيب، ج4.

_ابن عذاري المركشي(كان حيا 712هـ/ 1313م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح ج س كولان وإ ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج3.

_عصمت دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1988.

_كمال عبد المجيد: الفكر الأندلسي بين الطموح والانتكاسة، دار ركراف، الدار البيضاء، المملكة المغربية.

_محمد أحمد أبو الفضل: شرق الأندلس في العصر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1996.

_ميغيل كروز هيرناندیس: "الفكر الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبرية"، ضمن الحضارة الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى خضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1998، ج2.

_ميغيل كروز هيرناندیس: "الفكر الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية"، ضمن الحضارة الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى خضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1998، ج2.

_نعيمة المني: "صور من النقد السياسي و الاجتماعي في الأدب الأندلسي"، كراسات أندلسية، تقديم عباس الجراري، مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات، مطبعة النجاح الجديدة، ط1.

_وداد القاضي: "الفكر السياسي لأبي مروان ابن حيان"، مجلة المناهل، إصدار وزارة الشؤون الثقافية، المملكة المغربية، ع 29، س11، جمادى الثانية1404 / مارس1984.

_وهبة الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، ج3.

_يوسف بنلمهدي: أصول الفكر الأخلاقي بالمغرب والأندلس، مركز الإمام الجنيد للدراسات والأبحاث الصوفية المتخصصة، وجدة، ط1، 2014.

_يوسف بنلمهدي: ملامح الفكر الأخلاقي بالغرب الإسلامي في القرن الخامس والسادس في القرن الخامس والسادس، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية، إشراف مهدية أمنوح، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، المملكة المغربية، السنة الجامعية 2010/ 2011.